« الملك البابلي نبوخذ نصر في تيماء »

الدكتور صبحي انور رشيد
مدير المتحف العراقي

تقع تيماء في المملكة العربية السعودية وسط واحة قرب الطرف الشمالي الغربي من بادية نجد وتبعد عن المدينة المنورة بحوالي (٤٣٦ كم) وعن بابل بحوالي (١٠٠٠ كم) وكان وقوع تيماء في وسط الطريق التجاري بين مكة والشام وبين مصر وبابل ومرور القوافل التي تسلك الطريق الجنوبي الشمالي الذي يبدأ من مأرب او طريق جرعاء ـ التبراء ، قد اكسبها أهمية خاصة في مختلف العصور .

وكانت معلوماتنا عن تيماء تعتمد لغاية القرن التاسع عشر على ما ورد في كتب المؤرخين والبلدانيين العرب المسلمين امثال المقدسي وياقوت الحموي وابن رسته والمسعودي والاصفهاني وغيرهم . ومنذ أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر بدأت تيماء تحظى بزيارة بعض الاوربيين امثال جوس وسافينياك ، هوبر اويتنك ، داوتي ، موسيل وعبد الله فيلبي . ولقد قمت مع طلبة قسم التاريخ بجامعة الرياض بزيارة لتيماء كما انجزت دراسة ورسم وتصوير آثار تيماء الموجودة في إدارة الآثار في الرياض وفي متحف الآثار بكلية الآداب بجامعة الرياض وذلك أثناء قيامي بالتدريس لمدة (٤) سنوات في الجامعة المذكورة وتقع المدينة القديمة الى الجنوب من واحة تيماء على حافة السهل بين بئر هداج وبئر وداج (٢) شكل المنطقة الأثرية هو اقرب ما يكون الى المربع . يحيط بالمدينة الأثرية سور مشيد بالحجر الرملي يبلغ عرضه حوالي (٣,٢٠ م) وارتفاعه في بعض الاجزاء حوالي (٣) امتار وامتداده الطولي في ـ الجهة الجنوبية هو (٣) اميال ويؤرخ هوبر (Huber) سور تيماء في الفترة الآرامية القديمة في القرن السادس قبل الميلاد (٣) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في الطرف الغربي من تيماء القديمة وبالقرب من سور المدينة تقوم بقايا قلعة تعرف لدى الأهالي بإسم (قصر زلوم) ويبلغ طول جدار هذا البناء حوالي (٥٠ م) وسمكه حوالي (١,٣ م) وأعلى ارتفاع متبقي حوالي (٣) أمتار تتألف البناية من ساحة ومجموعة من الغرف وقد عثر داوتي في وسط البناية على شاهد قبر من الحجر عليه كتابة آرامية تعلوها العينان والأنف فقط (٤) ويذكر فيلبي (٥) وغيره قصر السموأل المعروف بإسم قصر الابلق يعرف محلياً بإسم قصر زلوم . هذا مع العلم انه لم ينقب بعد في هذا البناء ولم يردنا اي اثبات او شاهد اثري أو تاريخي يثبت ان قصر زلوم هو قصر السموأل .

وفي الجهة الشمالية الغربية من تيماء يقع بناء آخر يعرف لدى الأهالي بإسم (قصر الرخم) وجدرانه مستقيمة مشيدة بالحجر الرملي فيها طلعات مستطيلة وتحمل بعض أحجار هذا البناء رسوماً حيوانية وفي وسط البناء توجد بئر مردومة ولا يمكننا الآن اعطاء تاريخ لهذا البناء اسوة ببقية اطلال المدينة الأخرى .

ولدى تجولنا في المنطقة الأثرية شاهدنا جزء من معبد مشيد بالحجر جرى فيه حفر غير مشروع من قبل أحد الأهالي وظهرت معالم غرفتين كان في احداهما تمثال من الحجر اكبر من الحجم الطبيعي واستناداً الى الطراز الفني فانني ارجع تاريخ هذا التمثال الى القرن السادس ـ الخامس قبل الميلاد .

وفي منطقة قريبة من الجامع الكبير شاهد كل من داوتي وهوبر اجزاء من اعمدة من حجر الكلس المائل للزرقة ارتفاع الباقي منها حوالي (٦٠ م وقد استنتج الباحثان المذكوران ان البناية التي فيها هذه الأعمدة هي معبد قديم (٦) واشار اوبتنك (٧) الى وجود المعبدين في الجهة

الجنوبية الشرقية وقد عثر هناك على عمود مدور من الحجر طول القسم الباقي منه (٢,١٠ م) ـ وقاعدته مؤلفة من عدة احجار مربعة الشكل كما شاهد آثار اعمدة مدورة بارزة من الأرض وتنتشر في تيماء عدة قبور وهي على نوعين : الأول وهو ذو شكل دائري قطره حوالي (٨ م) يتصل به بناء آخر مستطيل الشكل طوله حوالي (٢ م) . والنوع الثاني من القبور عبارة عن تلول دائرية الشكل قطرها (٨ ـ ١٢ م) وقد شيدت جدرانها بشكل متدرج في السعة بحيث تكون أعلى طبقة هي الأصغر . ان جدار كل طبقة يقل عن الجدار الذي تحته بحوالي (٣٥ م) ويكون عدد هذه الجدران أحياناً (٩) ويشيد فوق أعلى طبقة وقطرها حوالي (٣ م) بناء من الحجر مستطيل الشكل (٨) .

ورد ذكر اسم مدينة تيماء في الكتابات التالية :

١ ـ كتابة للملك الاشوري تجلاتبيلزر الثالث (٩) .

٢ ـ كتابات للملك البابلي نبونيد (١٠) والكتابات البابلي الأخرى .

٣ ـ الكتابة الارامية المنقوشة على مسلة تيماء (١١) .

٤ ـ الكتابة الآرامية التي تعود إلى النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد والمدونة على قطعة من الجلد عثر عليها في الكهف الرابع في قمران قرب البحر الميت (١٢) .

وفي هذه المدينة الكبيرة الواقعة على الطرق التجارية المهمة في جزيرة العرب أقام الملك البابلي الأخير نبونيد . وفي حينه عندما نشر بينجر (Pincher) عام ١٨٨٢ حوليات نبونيد التي ذكرت حملته العسكرية ضد تيماء واقامته فيها ، لم يصدق بعض المؤرخين ان ملكاً بابلياً يغادر بلاد بابل إلى مكان بعيد ويقضي مدة طويلة من حكمه هناك (١٣) ولكن الآن وبعد ظهور ونشر كمية كافية ومختلفة من الكتابات فقد اصبحت اقامة نبونيد في تيماء حقيقة مسلم بها من قبل الجميع . ان ـ الكتابات التي ذكرت اقامة نبونيد في تيماء هي :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ حوليات نبونيد التي نشرها بينجر (Pincher) عام ١٨٨٢ واعاد نشرها سدني سميث (١٥) (Sidny Smith) سنة ١٩٢٤

٢ ـ كتابة بابلية على لوح طيني موجود في أمريكا ونشره لأول مرة دوكرتي سنة ١٩٢٠ وهذه الكتابة مؤرخة في السنة العاشرة من حكم نبونيد .

٣ ـ الكتابة المعروفة بعنوان محاسبة قصيدة نبونيد . التي نشرها سدني سميث (١٧) لاول مرة في سنة ١٩٢٤ وأكمل النواقص الموجودة فيها لاندزبركر (١٨) (Landsberger) أو باور (Bauer) واعاد نشرها بريجابرد (J. B. Pritchard) .

٤ ـ الكتابة الآرامية التي عثر عليها في الكهف الرابع في قمران قرب البحر الميت والتي نشرت لأول مرة سنة ١٩٥٦ من قبل ميليك (١٩) .

٥ ـ مسلات حران التي نشرها كاد (٢٠) (C. J. Gadd) سنة ١٩٥٨ والواقع ان دراسة كاد (C. J. Gadd) الكتابة المسلات التي عثر عليها رايس (٢١) (D. S. Rice) في صيف سنة ١٩٥٦ في الجامع القديم في حران الواقعة في الأراضي التركية على بعد حوالي (٧٠٠ كم) شمال غرب بابل وقد جددت البحث والنقاش في موضوع نبونيد .

ان حملة نبونيد العسكرية الى تيماء كانت في السنة السادسة من حكمه اي في حوالي سنة (٥٥٠ ق . م) وقد ناقش الباحثون (٢٢) الطريق الذي سلكه نبونيد الذي سكتت عنه وعن ذكر المدن الواقعة عليه كتاباته واعتقد الباحثون ـ ان طريقه كان الطريق المؤدي من بلاد الشام الى شرق الأردن ثم عبر شمال الحجاز الى تيماء وهو قد يكون نفس الطريق الذي سلكه الحجاج المسلمون من بلاد الشام الى مكة في العصر الاسلامي (٢٣) .

لقد قيلت في تعليل أسباب حملة نبونيد العسكرية على تيماء آراء مختلفة سياسية واقتصادية وعسكرية ودينية . وقد ساهم في تقديم هذه الآراء كل من لاندزبركر (٢٤) وباور وليفي (٢٥) (J. Levy) وسدني وسميث (٢٦) هومل (٢٧) ، كاد (٢٨) روليش (٢٩) (Rollig) والمحاضر (٣٠) .

وقبل العثور على مسلات نبونيد في حران عام ١٩٥٦ ظهرت آراء مختلفة حول مدة اقامة نبونيد في تيماء فقد جعلها البعض بـ (٧) سنوات قياساً على ما جاء في التوراة (٣١) التي نسبت لنبوخذ نصر اقامة امدها سبع سنوات وردت في الكتابة الآرامية التي عثر عليها في كهف قمران (٣٢) قرب البحر الميت والتي تعود الى النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد اي بعد نبونيد بـ (٥) خمسة قرون اي ان كتابة قمران قد أعطت لاقامة نبونيد في تيماء الرقم التقليدي الوارد في التوراة . وجعل البعض الآخر مدة اقامة نبونيد (٨) ثمان سنوات على اساس ان ذهاب نبونيد الى تيماء كان في السنة السادسة لوجود قضية قانونية انجزها ابن نبونيد الوصي على العرش في بابل وان النصوص تسكت عن نشاط الابن الوصي بعد السنة (١٤) من حكم نبونيد (٣٣) . والواقع ان مسلات حران العائدة لنبونيد والتي نشر كاد كتاباتها عام ١٩٥٨ وقد وضعت حداً لهذه الافتراضات والاختلافات اذ انها قد حددت مدة اقامة نبونيد في تيماء بعشر سنوات .

وتذكر الكتابة التي كتبت من قبل خصوم نبونيد في عهد الملك الاخميني كوربش فاتح بابل وذلك للتنديد والطعن بنبونيد والسخر منه وتعديد آثامه واقول ان هذه الكتابة المعادية (٣٤) قد ذكرت ان نبونيد قد سلك الى تيماء طريقاً لم تسلكه في الأيام القديمة وعند وصوله الى تيماء قام بقتل ملكها وذبح قطعان ماشية سكانها وسكان المناطق المجاورة ثم قام بتجميل مدينة تيماء وبنى له فيها قصراً يشبه قصر بابل وقام بتحصين المدينة ببناء سورها وتذكر كتابة مسلات حران الى ان نبونيد قد تنقل خلال مدة اقامته البالغة (١٠) عشرة سنوات بين المدن التالية :

دادانو	العلا الحالية	Da- da- nu
باداكو	فدك الحالية	Pa- dak- ku
خيبر	خيبر الحالية	Hi- ib- ra- a
ياديخو	(بديع) الحويط الحالية	La- di- hu

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تذكر الكتابة كذلك قيام نبونيد في تيماء باستقبال وفود الصلح التي بعث بها اليه كل من ملك مصر (امازيس الثاني) (٦٩ ـ ٥٢٥ ق . م) وملك ـ الميديين وملك العرب .

وعقد الصلح معهم . هكذا يتضح ان نبونيد اثناء اقامته في تيماء قد نجح في احلال السلام وايجاد العلاقات الودية مع مصر بعد ان كانت منذ عدة قرون تتصف بالحرب والعداء كما انه قضى على خطر قبائل جزيرة العرب التي كانت تهدد امن وسلام بابل كما اثبت انه كان شخصية سياسية عالمية آنذاك له مكانته الدولية العالية بحيث يرسل له ملك كل من مصر والميديين وملك العرب وفود الصلح رغم انه خارج العاصمة بابل هذا ولا شك اعتراف من هؤلاء الملوك بشرعية حكمه وملوكيته وامتداد رقعة ـ سلطانه الى تيماء في الجزيرة العربية .

إضافة الى هذه النتائج فإن اقامة نبونيد في تيماء كانت لها نتائج حضارية سبق وان اوضحت بعضها في مقالين بالعربية (٣٦) والالمانية (٣٧) وانه قد اسس حاميات عسكرية في المدن التي دخلها من جزيرة العرب كما يرى كاد (٣٨) .

والواقع ان المعلومات المتوفرة في الوقت الحاضر عن نبونيد وحكمه لا تقدم الصورة الصحيحة الصادقة لتاريخ حكمه وشخصيته الدولية وأعماله السياسية والعسكرية والدينية والاقتصادية ، ولهذا كله فانني ارى ان قيامنا بالتنقيب في تيماء والعثور على قصره هناك وهو الشبيه بقصر بابل والسور والتحصينات التي بناها سوف يكشف بدون شك عن مادة علمية جديدة نصوص وفنون صغيرة وعمارة تضيف الى معلوماتنا الشيء الكثير عن شخصية وانجازات هذا الملك والعلاقات الحضارية والسياسية والعسكرية بين بلاد بابل والجزيرة العربية والدول الأخرى مصر وايران لهذا السبب اطالب هنا من المسؤولين العراقيين بضرورة ارسالهم هيئة اثارية عراقية للتنقيب في اطلال تيماء في المملكة العربية السعودية بأقرب وقت خدمة لحضارة ملوك بابل المنعقدة من اجلها هذه الندوة العالمية وشكراً ....